ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

The Contributions of Dhimmis in the East Till th End of the Third Century A.H (The Exchange and Moneychnger as a sample)

Assist.Lect. Samer Aziz Elawi

Prof.Dr. Mahmood Ebad Mohammad

Department of History
College of Education for Human Sciences
Tikrit University
Tikrit, Iraq

Keywords:
Banking
The crowd

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 10 Dec. 2018
Accepted 22 January 2019
Available online 2019/6/26

A B S T R A C T

The contributions of Dhimmis in the east till the end of the third century A.H.(the exchange and moneychanger as a sample(When Islamic religion spread in the Arabian Peninsula, and began the operations of the Arab Islamic conquest outside, and directed religious messages in the east, and directed Byzantium in the West, and controlled three important areas, including: Iraq, the Levant and Egypt, and allowed these conquests to enter a large number of Christians, Jews and Magus Under the Islamic rule, Islam considered the people of the original religions: "The people of the Book" and "the people of Dhimma" in the two names are accurate because Islam recognizes the prophecy of the prophets among the people with the members of others through tolerance and pardon. So the first objectives of Islamic conquests were different from the others who preceded them

© 2018 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.26.3.2019.16

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

إسهامات أهل الذمّة الاقتصادية في المشرق حتى نهاية القرن الثالث الهجري (الصيرفة والجهبذة إنموذجاً)

م.م. سمير عزيز عليوي / جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ
أ.د. محمود عباد محمد / جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

الخلاصة

عندما انتشر الدين الإسلامي في جزيرة العرب ، بدأت عمليات الفتح العربي الإسلامي خارجها ، ووجه المسلمون حملاتهم تجاه بلاد فارس في الشرق ، وإمبراطورية بيزنطة في الغرب ، وسيطروا على ثلاث مناطق مهمة منها هي : العراق ، وبلاد

الشام ، ومصر ، فسمحت هذه الفتوح بدخول عدد كبير من النصارى واليهود والمجوس تحت الحكم الإسلامي ، فنظر الإسلام إلى أهل الأديان الأخرى نظرة تسامح فسمي اليهود والنصارى بـ " أهل الكتاب" و " أهل الذمّة " وهما تسميتان رقيقتان إذ إن الإسلام يعترف بنبوة الأنبياء السابقين وهذه هي السياسة التي رسمها النبي محمد ﷺ والتي تبين العلاقة بين الناس مع بعضهم البعض من خلال التسامح والعفو ، فكانت أهداف الدولة الإسلامية في الفتوح ، تخالف أهداف من سبقها من الدول ، فأول أهدافها هو نشر الدين الإسلامي والدعوة إلى الله ﷻ ولا يقصد منها سيادة الغالب على المغلوب ولا طمع في ملك أو إمارة ، وعدم فرض سلطتها بالقوة على أهل المناطق المفتوحة بل تعمل على أن تسوس الناس ، إذ أنها لا تميل إلى استخدام القوة والعنف ، ومن ثم تدعوا إلى الحكم بالعدل بين الناس ، ومنهم أهل الذمة إذ دعا الدين الإسلامي إلى معاملتهم معاملة عادلة وضمهم تحت كنف الدول الإسلامية لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات ما على المسلمين.

وبهذا عاش أهل الذمة حياتهم الخاصة ضمن المجتمع الإسلامي وأسهموا في مجالات الحياة كافة ومنها الجانب الاقتصادي ، فأسهموا في جوانبه كافة ومنها جانبي الصيرفة والجهبذة، وهذا ما سنوضحه في موضوع بحثنا الموسوم بـ **(إسهامات أهل الذمّة الاقتصادية في المشرق حتى نهاية القرن الثالث الهجري (الصيرفة والجهبذة أنموذجا) .**

وقد قسمنا موضوع الدراسة إلى مبحثين تناول المبحث الأول منها الصيرفة في حين تناول المبحث الثاني الجهبذة ، ثم جاءت الخاتمة لتبين أهم ما تم التوصل إليه البحث من نتائج .

وفي الختام لعلي بهذا أكون قد أسهمت ولو بجهد المقل في تسليط الضوء على جزء مما أسهم به أهل الذمّة في الحضارة الإسلامية في بلاد المشرق الإسلامي وعدم إغفال دورهم الاقتصادي في ظل الدولة الإسلامية ، وبهذا فأني اسأله سبحانه وتعالى أن يغفر الخطأ ، ويجزل المثوبة ، ويكتب النفع ، أنه سميع مجيب ، والله تعالى من وراء القصد .

المبحث الأول

الصيرفة

الصيرفي لغةً هو صراف الدراهم ونقادها [1] . أما الصيرفي اصطلاحاً هو مهمة تبديل العملة وتحويل الدنانير إلى دراهم وبالعكس ، فضلا عن قيامه بحل مشاكل الفروق بين نوعيات وأوزان العملة بين مختلف الأمصار الإسلامية [2] ، وكان لإتساع نطاق التجار في تعاملاتهم التجارية مع بلدان كثيرة وأصقاع شتى وأقطار نائية ، ونظرا لصعوبة حمل النقود لشراء البضائع التجارية لاختلاف العملة المتداولة بين الأقاليم والبلدان المختلفة وخوفا من السرقات ، ظهر من يقوم بتيسير العمليات التجارية في الدولة لقاء مبلغ معين يؤخذ من التجار على سبيل العمولة ، وقد أطلق على هذه العملية اسم " الصيرفة " إذ إن الصرف هو فضل الدرهم على الدرهم والدينار على الدينار لأن كل واحد منهما يصرف عن قيمة الأخر والصرف يشمل أيضا بيع الذهب والفضة والتصريف في جميع البيوعات قد تكون بالمعدن أو النقود[3].

وقد أطلق على الأشخاص الذين اشتغلوا بتبديل العملات اسم الصيارفة [4] ، ووجدت الصرافة قديما إذ ترجع معرفتها في العراق إلى العصر البابلي فقد كان الصيارفة يقومون بالقروض والعقود التجارية والبيع بالنسيئة والتحويل من مدينة إلى أخرى [5] ، وكان في المدائن مجموعة من الصرافين كانوا يقومون بأعمال الصيرفة وصاروا الواسطة الجيدة بين فضة المشرق وذهب المغرب واشتغل أولئك الصرافون بعقد القروض لتسهيل التجارة ثم نقلوا مركزهم إلى مدينة الكوفة في العهد الإسلامي وكان لهم الفضل الكبير في تقدم الصيرفة [6] ، وبلغت حركة الصيرفة في العراق قمة ازدهارها بازدهار التجارة ، وقدرة الصيارفة على تسليف النقود وتبديل العملات واستلام البضائع وغيرها [7] ، ولهم أسواق خاصة بهم ، ففي القرن الأول الهجري / السابع الميلادي أشتهر سوق الصيارفة بالكوفة [8] ، وفي العصر العباسي كان درب عون ببغداد مقرا للصيارفة [9] ، واخذوا يعملون على تحويل الدنانير إلى دراهم وبالعكس ، وبحل مشكلة تنوع جودة النقود من العملة الواحدة وفرز المغشوش من الجيد بعد ظهور التزييف [10] ، واختلاف أوزانها بصرف هذه الأنواع بعضها ببعض حسب حاجات أصحابها

(11) ، فهم الذين يحتجون ببضاعة دار الضرب وجاء معنى هذا عند ابن الإخوة (12) : " بأنهم كانوا يتوسطون بين الناس ودار الضرب بأخذ الفضة والذهب من الناس لسكها دافعين لأصحابها نقودا تعدلهما في القيمة الاسمية ، وبهذا كانوا يستفيدون من الفرق بين القيمتين ويحققون أرباحا كثيرة " ، إلى جانب المهمة الأولى للصراف وهي تقييم النقود من حيث الجودة والوزن وهذا ما يتطلبه تعدد العملات وأثر التداول على وزن النقود وهي مهمة ضرورية للمعاملات التجارية ، كما يقوم الصراف بتحويل النقود من الذهب إلى الفضة وبالعكس أو صرفها لأغراض التجارة خاصة ولم يكن سعر التحويل يعتمد على النقود وحدها بل على حالة الأسواق والاعتبارات التجارية وسعر الذهب والفضة (13) ، وكان الصيارفة يفيدون من الودائع لأغراض صرف العملات مقابل فائدة وإصدار سفاتج مقابل أجور وللإقراض أو التسليف يشترك الجهبذ مع الصراف في العمليتين الأخيرتين كما يفيد من النقد المودع لديه في المضاربة أو في المساهمة في الشركات (14) ، وكان لصيارفة الكوفة فضل كبير على تقدم الصيرفة في الدولة الإسلامية (15) ، فهي من أعظم المدن شهرة في هذا المجال (16) , وكان للصرافين محلة خاصة في سوق الكرخ ببغداد تدعى عون (17) ، إذ كانت المهمة الأولى للصراف تقييم النقود من حيث الجودة ووزنها ، وهذا ما يتطلبه تعدد العملات وأثر التداول على وزن النقود وهذه كلها مهمات ضرورية للمعاملات التجارية كما يقوم الصراف بتحويل النقود أو صرفها لأغراض التبادل التجاري ولذلك سمي بالناقد (18) .

وعمل أهل الذمّة بالصيرفة ويأتي في مقدمتهم اليهود ، الذين توارثوا هذه المهنة(19) ، بل أن اسمهم أصبح مرادفا للصيرفة ، فكان الصيارفة وأصحاب المصارف بالشام معظمهم من اليهود (20) .

ومما جعل اليهود يلعبون دورا خطيرا في هذا المجال مزاولتهم الربا وإقراضهم الأموال بأرباح باهظة (21) . ويعود تعامل اليهود ببيع الذهب والفضة وتبديل النقود والربا إلى ما قبل الإسلام (22) . وهذا يفسر مهارتهم في هذه المهنة .

ومارس النصارى مهنة الصيرفة أيضا (23) ، ولعل من أشهر الذين امتهنوها عبيد الله بن بختيشوع والد جبرئيل الطبيب الذي كان من الصيارفة البارعين(24) ، ومن الصابئة يبرز لنا أبو الحسن ثابت بن قرة الذي لمع اسمه في أكثر من مجال ، فقد كان صيرفيا بسوق حران قبل انتقاله إلى بغداد وحظوته عند الخلفاء(25) ، ولتوسيع عملهم الصيرفي ، أنشأ الصيارفة بيوتات مالية أو شركات فيما بينهم لتشمل قبول الودائع ، لذا تعامل معهم التجار (26) ، وعدد من الموظفين الكبار والوزراء والخلفاء(27) ، الذين كانوا بحاجة إلى مكان أمين يحفظون فيه ودائعهم من الضياع أو من السرقة (28) فقد أودع أبو العلاء سليمان بن وهب النصراني ببغداد مبلغ ثلاثمائة وخمسين ألف درهم عند أحد الصيارفة(29) .

والملاحظة المهمة بهذا الصدد أن الدولة كما هو حال التجار أخذوا يقترضون الأموال من الصيارفة بتسهيلات كبيرة (30) ، وكانت أسواق الصيرفة تعج بالكتاب والمحاسبين ، ويصف أبن حجة الحموي زخم العمل في أحد المصارف بقوله : " فدخلت وإذا بكتبة مجوس وصيارفة قعود وهم يقتضون الرهون ويعطون الدنانير والدراهم وحوله جماعة من الكتاب والحساب وبين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر الصغار وهم في الحساب"(31).

وأشرفت الدولة على أعمال الصيارفة عن طريق المحتسب ، إذ يتوجب عليه أن يراقب سوقهم ، ويلحظ من يتعامل بالربا منهم أو بغير ما أمر به الشرع فيقوم بتعزيره (32) ، وطرده من السوق (33) ، كما يقوم بمنعهم من ترويج الدراهم المزيفة وغش الناس بها (34) .

ويفترض أن الصيارفة هم الذين قاموا بضرب النقود في دور الضرب إذ يأخذون الذهب والفضة من الناس ليسكوها لهم محققين أرباحاً من هذه العملية ، كما كانوا يتلاعبون أحيانا بالوزن ، مما استوجب تحذيرهم وفرض عيار جديد للحد من تلاعبهم ، وجنى الصيارفة أرباحا طائلة من عمليات الإقراض والتصريف ، وذلك لإرتفاع العمولة التي يتقاضونها (35) .

وتولى الصيارفة من اليهود في بعض مدن الشام عملية تبديل العملة من فئة إلى فئة أخرى (36) ، وقد وقع اختيار اليهود لهذه المهن بالتحديد لما لها من تمكين لهم على رقاب الناس ، ولأنها تتعلق بالأمور المالية والاقتصادية (37) ، وأدى

ازدهار التجارة في العصر العباسي الأول وخاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين إلى توسع أعمال الصرافين [38] ، فأخذوا يعطون السلف ، ويقبلون الودائع ويتوسطون بين الناس ودور الضرب وذلك بأخذ الفضة والذهب من الناس لسكها دافعين لأصحابها نقودا تعادلها في القيمة الاسمية وبهذا كانوا يستفيدون من الفرق بين القيمتين [39] . وتعاملوا بالفائدة على القروض ، إذ كانت نسبة ربحهم كما بين أحد الصرافين بقوله : " وكنا نعطي في مثل هذا ما يكسر في كل دينار درهم " [40] ، أو " بربح دانق ونصف فضة في كل دينار " [41] ، وذلك أن اغلب الصرافين في الدولة الإسلامية كانوا من أهل الذمّة[42]. وذلك لأن المسلمين حرموا هذه الأنواع من التعاملات الربوية ، فقام النصارى بهذه المهمة إذ يقول الجاحظ [43] في إحدى رسائله : " ومما عظمهم في قلوب العوام وحببهم إلى الطعام إن منهم كتاب السلاطين وفراشي الملوك وأطباء الأشراف والعطارين والصيارفة " ، وكذلك اليهود الذين أصبحوا يمتلكون أموالا طائلة وثروات كبيرة [44] ، إذ ذهب الخلفاء العباسيون إلى القول بأن : " لا يستخدم أحد من اليهود والنصارى إلا في الطب والجهبذة فقط " [45] ، وكانت رؤوس أموال الصرافين تتكون من الودائع المودعة لديهم من قبل التجار ورجال الدولة الذين يودعون أموالهم لديهم [46] ، وإن معاملاتهم النقدية من إقراض وتوديع كانت تجلب لهم أرباحا كبيرة لكثرة الفائض الذي يأخذونه عند تسليفهم التجار من هذه الودائع إضافة إلى ذلك فقد كان هناك صيارفة رسميون في الدولة العباسية سموا ب " الجهابذة " والواحد منهم " جهبذ "[47] ، ويقول عنه الزبيدي [48] : " بأنه النقاد الخبير بغوامض الأمور العارف بطرق النقد " ، وهؤلاء الجهابذة كانوا من التجار الأغنياء الذين كانوا يملكون ثروات طائلة ولذلك فأن مصدر أموالهم أرباح تجارتهم ، إضافة إلى ودائع الوزراء وكبار موظفي الدولة [49] ، فقد ورد في احد اقوال من الوزير ابن الفرات وزير الدولة العباسية [50] في إحدى نكباته إن له عند الجهبذين اليهوديين هارون بن عمران ويوسف بن فنحاس الذين اعتبروا من " جهابذة الحضرة " مبلغا عظيما من المال [51] ، وكان للجهابذة أجور من قبل الدولة [52] ، ويشترك الجهبذ مع الصراف في العمليات المالية من حيث الإقراض والتسليف ، ولكن تعامل الجهبذ كان بالدرجة الأولى مع كبار رجال الدولة [53] ، فقد كان لأكثر الوزراء جهابذة خاصون [54] ، بينما كان تعامل الصراف مع عامة الناس وبضمنهم التجار ، وأحيانا كان تعامله مع رجال الدولة والأعيان فيها [55] .

وقدم الصيارفة خدمات جليلة للدولة الإسلامية فكانوا يسلفون الأموال للتجار ويتسلمون منهم الودائع ويسهلون بذلك عمليات الائتمان في كافة المرافئ والمدن التجارية الإسلامية وخاصة في ميناء البصرة التجاري إذ إن هناك إشارات تاريخية تبرز ما وصلت إليه الصيرفة في هذه المدينة إلى حد يمكن القول بأن جميع المعاملات التجارية كانت تتم عن طريق الصيرفة بواسطة الصراف ويصف الرحالة ناصر خسرو [56] وضع الصيارفة والسوق في البصرة بقوله : " وينصب السوق في البصرة في ثلاث جهات كل يوم ففي الصباح يجري التبادل في سوق خزاعة وفي الظهيرة في سوق عثمان وفي المغرب في سوق القداحين والعمل في السوق هكذا كل من معه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكا ثم يشتري كل ما يلزمه ويحول الثمن على الصراف فلا يستخدم المشتري شيئا غير صك الصراف طالما يقيم بالمدينة " ، وذلك دون أن يضطر التاجر إلى الدفع المباشر في كل صفقة تجارية [57] ، إذ ظهر في هذه المدينة صرافون كبار بلغت رؤوس أموالهم أكثر من مائة ألف دينار ، ولما كانت الصيرفة تحتاج إلى خبرة ودراية ومعرفة كافية بالأمور الحسابية فقد استخدم الصيارفة من هو كفؤ لهذه المهنة ، فقد كثر في البصرة اعتماد الصيارفة على الغلمان والعبيد من الهند والسند في تمشية أعمال مصارفهم وذلك " لأنهم وجدوهم أنفذ في أمور الصرف " [58] ، إضافة إلى براعتهم في الأمور الحسابية والمالية . ورغم ذلك فقد كان الصراف معرض للإفلاس [59] ، وهذا ما حدث فعلا لصراف أفلس عن رأس مال بلغ تسعة آلاف دينار [60] .

وفي مدينة بغداد كثر الصيارفة في مدينة الكرخ واتخذوا من دروبها محلات لأعمالهم الصيرفية[61] ، وخاصة في محلة سميت " درب عون " إذ كان فيها كبار الصرافين الأغنياء[62] ، وكذلك " درب الزعفران "[63] ، وفي مدينة الكوفة كانت محلاتهم منتشرة في منطقة مسجد بني جذيمة [64] ، وفي مدينة سامراء كثر الصرافون [65] ، كما إن الصيرفة كانت منتشرة

في المدن الواقعة على الطرق التجارية المهمة المؤدية إلى بغداد والبصرة والمشرق مما أدت إلى تسهيل المهمات التجارية عبر تلك الطرق [66].

ومن وسائل التعامل التجاري التي ترتبط بعمل الصيارفة والجهابذة ارتباطا وثيقا هو " الصكوك " وهو عبارة عن ورقة مالية أو أمر خطي يتضمن الإقرار بدفع المال عن قيمة دين أو قرض أو استحقاق مالي له اجل معين إلى الشخص الوارد اسمه فيه وذلك بمثابة سند الدين [67] ، كشراء رجل لبضاعة لم يدفع ثمنها فيكتب على نفسه صكا بقيمتها [68] ، وتوسع استعمال الصكوك في العصور الإسلامية الأولى ، وهذه الصكوك كانت تكتب وتصرف أحيانا على بيت المال [69] ، أو على الصرافين والجهابذة [70] ، واستعملت لمختلف المدفوعات حتى القليلة منها فهناك إشارة تاريخية إلى صك جهبذ " يثمن نفط اشتري بتسعة دراهم " [71] .

ويبدو مما تقدم إن عملية الصيرفة هذه قامت بدور كبير في تسهيل المعاملات المالية وعقد الصفقات التجارية وتنشيط الحياة الاقتصادية بصورة عامة وازدهار التجارة بصورة خاصة في الدولة الإسلامية حيث اشتغل هؤلاء الصيارفة بالتسليف والقروض وكافة وسائل الائتمان كما إنهم قاموا بعمليات الوساطة بين الناس ودور الضرب ، وكانوا يقبلون الودائع ثم يقومون بتبديل النقود وصرفها مما يسر نشاط التجارة وتوسع عمل المؤسسات المالية والصيرفة التي كانت تقوم بدور " البنوك " في الوقت الحاضر .

وكان معظم كتّاب خراسان زمن الخليفة هشام بن عبد الملك من المجوس [72] ، ومن الملاحظ أن العرب المسلمين ركزوا على استخدام أهل الذمّة في الأمور الكتابية والمالية خاصة، فقد استعان الحجاج بن يوسف الثقفي بسمير اليهودي الذي عمل له أوزان الدراهم [73] .

واستطاع الصيارفة من خلال الأسواق تقديم خدمة جليلة للتجار إذ كانوا همزة الوصل بين الأفراد ودار ضرب العملة وبيت المال وكذلك تحويل النقود ، ولعل الشيء الوحيد الذي ساعد على ازدهار مهنة الصيرفة في العصر العباسي هو أن التعامل بالعملات كان يتم عن طريق العد ، لذلك كانت قيمة العملة ومعدل التبادل بينها يتوقف على كمية المعدن النفيس ونقائه ، كما إن سعر الصرف بين الدرهم والدينار يتأثر بمستوى أسعار المعدنين الذهب والفضة في الأسواق [74] . وقد تحول بعض الجهابذة من كتاب للخراج والعمل بالجباية وتمييز النقود إلى أصحاب بيوتات مالية حيث كانوا يقومون بقرض المتعاملين معهم ، واستفاء أموالهم عند قيامهم بجباية أموال الدولة وكثيرا منهم من احتفظ بالوظيفتين معا ، حيث كان الصيارفة في بغداد يقرضون رجال الدولة [75] ، كما اتهم خالد البرمكي بأنه أودع مالا عند جهبذ نصراني أيام الخليفة المنصور [76] . وعليه فقد اشترك الجهبذ والصراف في وظيفة وعمل هذه البيوت إلى أن صارا اسمان لمسمى واحد [77] ، وقد اختص أهل الذمّة من اليهود والنصارى بأعمال الصيرفة والجهبذة وخاصة مع نهاية القرن الثالث الهجري عندما اصدر الخليفة المقتدر أمرا سنة (296هـ / 908م) بأن لا يستخدم أحدا من أهل الذمّة إلا في الطب والجهبذة [78] ، وهذا ما ذهب إليه الجاحظ بقوله [79] : " إن اغلب الصيارفة في أواخر القرن الثالث الهجري نصارى " ، كما تمكن العديد من أثرياء اليهود من الوصول إلى مركز ثابت بتعاطيهم مع رجال الدولة إذ تمكن سهل بن نظير في منتصف القرن الثالث الهجري بالاحتفاظ بوظيفة الجهبذة [80] .

ومن الأدلة على تفرد اليهود بالاتجار بالعملة في الدولة الإسلامية ، انه لمّا فرضت الدولة على بطريرك الإسكندرية جزية باهضة في أواخر القرن الثالث الهجري حصل على المال اللازم بأن باع احد اليهود الأغنياء جزء من أملاك الكنيسة وكان هذا من بين الصيارفة بمصر [81] .

ولعل ما يفسر اندفاع كبار رجال الدولة من وزراء وكتاب على إيداع أموالهم لدى الصرافين والجهابذة هو خشية تعرض أموالهم للمصادرة بعد انقضاء مهامهم على غرار ما حدث للوزير ابن الفرات الذي صودرت أمواله من قبل خلفه الوزير علي

بن عيسى ، كما وجدوا في هذه البيوت الملاذ الأمن لإستثمارها وبخاصة أنها كانت تمنح هامشا من الربح ما يكفي للإقبال عليها .

غير إن تعرض الجهابذة إلى التفتيش والمسائلة بعد عزل زبائنهم من كبار رجال الدولة مثل ما حدث لهارون بن عمران ، دفع بعض الموظفين إلى إيداع أموالهم دون تسجيلها في سجلات الجهابذة على غرار ما فعل ابن الفرات الذي استطاع استرجاع بعض أمواله التي وضعها في وزارته الأولى دون انتباه خلفه [82] ، وهذا الفعل قد يفسر مدى الثقة التي كانت قائمة بين بعض رجالات الدولة وهؤلاء الجهابذة من أهل الذمّة ، أو قد تعود إلى رابطة المصلحة والمنفعة المتبادلة . وقد أفاد هؤلاء من أهل الذمّة من الكثير من الودائع التي يتسلمونها من كبار رجال الدولة والقروض التي يمنحونها للتجار وحتى للدولة أحيانا ، حيث كانت هذه البيوت تتقاضى على ما تقوم به من خدمات الحفظ والتسجيل هامشا من الربح أو ما يعرف برسم الخدمة ، وكان الجهبذين يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران يأخذان ربح ثلاثين دينار في كل مئة[83] ، وبذلك فقد جنوا أرباح كثيرة لكثرة الفائض الذي يأخذونه وأضحوا مصدر للثروة والمال في الدولة الإسلامية وازدادوا مكانة واحتراما حتى عد الجاحظ الصرافة من المهن التي تجلب الثراء والغنى بقوله [84] : " ألا ترون إن الأموال كثيرا ما تكون عند الكتاب وعند أصحاب الجوهر وعند الصيارفة " ، فقد كان علي بن هارون الجهبذ غنيا مترفا يعيش في قصر فخم على نهر الصراة [85] ، ويروي التنوخي [86] : " إنه كان لسليمان بن وهب وزير الخليفة العباسي المعتمد (256هـ – 279هـ / 869 – 892م) وابنه عبيد الله جهبذا خاصا يدعى ليث كانا يودعان النقود عنده ويكتبان الصكوك عليه ، ولما عزل سليمان من الوزارة قبض خلفه إسماعيل بن بلبل على الجهبذ ليث ليأخذ ما أودع أهل وهب عنده من نقود ، واكتشف في داره بئراً فيها ثمانين ألف دينار ، فلما سأل الجهبذ : هذا البئر مالك أم مال أصحابك ؟ فأجاب بل مالي وأنا رجل تاجر ".

ومن خلال هذا الاستعراض الذي يبين دور الصيارفة من أهل الذمّة وإسهامهم الفاعل في تطور اقتصاد الدولة الإسلامية ، فقد برزت لنا سيطرتهم على المعاملات المالية وتسهيل تجارة الائتمان من خلال تحويلهم للنقود وتسوية الحسابات ، وكذلك إسهامهم الواضح في التخفيف من مشكلة شح الأموال المتداولة بحوالاتهم ، كما أنهم ساهموا أيضا بتطور ورقي الفكر المالي للدولة الإسلامية ، والذي أرسوه هم باعتبارهم خبراء ماليين ، ونتيجة لسهولة هذا التعامل فقد ازدهرت التجارة وترسخت مكانة التجار وصاروا يجوبون مختلف الأمصار والموانئ ، وقد اتسع نطاق التجارة وأصبحت موردا مهما لأهل بغداد وصار الصيارفة من اليهود [87] ، وكذلك فإنهم اشتغلوا بالتجارة والصناعة [88] ، وقد ساعدت الأرباح الكبيرة المتأتية من التجارة على ممارسة اليهود في العراق مهنة الصيرفة ، وقد مارس اليهود مهنة الاقتراض بالربا لأن أسفار موسى والتلمود قد حرمت التعامل بالربا بين اليهود أنفسهم ، ولكن لم تحرمه بين اليهودي وغير اليهودي [89] ، وقد كانوا يأخذون نسبة عالية في الربا فيروي الأصفهاني [90] : " إن اليهود وغيرهم يعطون مالهم بالربا على أن يعاد عليهم المثل في أخر العام مثلين " ، وكان لكثرة ما سُك من العملة بأسماء الخلفاء وبخاصة حينما تعددت دول الإسلام **أن** ظهرت طائفة عرفت بالصيارفة لتسهيل الصفقات المالية وتمويل العملات ونشأتها ، ولما كان الإسلام يمنع أتباعه من الاشتغال بالربا فأن معظم أعمال الصيرفة كانت في أيدي النصارى واليهود [91] ، وكان اغلب الصيارفة حتى أواخر القرن الثالث الهجري من النصارى ، ومما عظمهم في قلوب العوام أن منهم كتاب السلاطين وأطباء الأشراف والصيارفة [92] ، ولكن اليهود بدأوا يزاحمونهم في هذه المهنة [93] ، وكان الدهاقين الأعاجم من المجوس الذين يتقبلون الضرائب التي كانت تجمع من فلاحي المقاطعات والذين كانوا يقومون بإقراض الناس ، وقد ظلوا بعد الفتح الإسلامي للعراق وتعاونوا مع العرب [94] ، كما إن هناك أشخاصا آخرين يقومون بعملية الإقتراض لم تذكرهم المصادر ولكن نستدل من أسمائهم إن بعضهم كانوا من النصارى[95] .

ولا ريب إن مثل هذه التجارة الواسعة النطاق كانت تتطلب إجراءات مالية واسعة أيضا ، لذا فقد ظهر في العصر

العباسي نظام مصرفي عرف مسائل الاعتماد والمسحوبات المصرفية للتجار وقد مارس اليهود هذه العملية [96] ، فاستعملوا الحوالات والصكوك والسفاتج التي سهلت التبادل التجاري بين المدن البعيدة وخففت من صعوبة نقل النقود بين البلدان وتعرضها إلى أخطار السرقة والنهب [97] ، واشتهر في العراق في عهد الخليفة المقتدر بالله العباسي (295– 317هـ / 907 – 929م) رجلين من جهابذة اليهود وهما يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران ، ويظهر إن هذين الرجلين كان لهما شبه بنك أو شركة سيطرت آنذاك على مجالات الاقتصاد العربي الإسلامي وامتدت فروعها إلى الجزيرة الفراتية والخليج العربي ، وقد تعاملت بنظام السندات والحوالات والكمبيالات كما كانت تقوم بإقراض رجال الدولة والتجار المسلمين وبذلك استطاع هذان الصيرفيان جمع أموال كبيرة ، وقد مرت أوقات عصيبة على الدولة العباسية كانت الخزينة بها خاوية مما اضطر الخلفاء إلى اللجوء إلى الصيارفة اليهود لإقراضهم [98] ، لأنه لما خلع الوزير علي بن عيسى بن الفرات وطولب بالمال اقر بأن له عندهما سبعمائة ألف دينار [99] ، وكان هذان الجهبذان ومعهما زكريا بن يوحنا يسمون جهابذة الحضرة [100] . وهذا يدل دلالة واضحة إن أهل الذمّة من اليهود والنصارى كانوا من أبرز وأغنى سكان العراق . ويقول المستشرق متز [101] : " فلا عجب أن نجد في لغة العرب لفظة مبلط وهو اصطلاح مالي يهودي يستعمل بمعنى المفلس " ، وكانت الصفة الغالبة على أعمال اليهود هي الصيرفة والجهبذة [102] .

مما أدى بالنتيجة إلى ازدهار التجارة بشكل ملحوظ وكل ذلك يصب في تطور الحضارة الإسلامية ودور أهل الذمّة فيه .

المبحث الثاني

الجهبذة

الجهبذ لغةً هو الناقد الخبير بغوامض الأمور ، العارف بطرائق النقد[103] . أما الجهبذ إصطلاحا هو ما يتطلبه ذلك من صرافة المبالغ الواردة لبيت المال وتحويل النقود الفضية إلى ذهبية وبالعكس ، فضلاً عن تنظيم تداول العملة في أقاليم وولايات الدولة العربية الإسلامية [104] . وقد ازدهرت هذه المهنة كباقي المهن بتوسع التجارة ، واعتماد النظام المالي العباسي في هذه الحقبة على العملة الذهبية أكثر من الفضة.

أما أجور الجهابذة فهي ما يأخذه الجهبذ بحق جهبذته ككاتب خراج وكان هذا الجهبذ معروفا منذ زمن الساسانيين ويبدو أنه يرجع إلى عصر أقدم [105].

وكان آل أبي دلف العباديين جهابذة في الحيرة [106] ، وفي العصر الأموي اتخذ الحجاج بن يوسف الثقفي جهابذة له [107] ، كما مارس النصارى الجهبذة ببغداد منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي [108] .

وبمرور الزمن ونتيجة توسع عمل الجهابذة ، استحدثت الدولة ديوانا خاصا للإشراف عليها هو ديوان الجهبذة ، فقد بلغ وارد جهبذة الموصل والزابات [109] في عهد الخليفة المعتضد بالله عشرة الآلف دينار [110] .

ويبدو أن الجهابذة كانوا يعملون في أماكن خاصة في الأسواق أو الدور، إذ يصف التنوخي [111] محل عمل الجهبذ بقوله : " ودخلت الدار مع الناس، فرأيت الصحن في نهاية العمارة والحسن ، و فيه مجالس كثيرة مفروشة بفرش ظاهرة وفي صدره رجل شاب بين يديه كتاب وجهابذة وحساب يستوفيه عليهم ، وفي ضفاف الدار ومجالسها جهابذة بين أيديهم الأموال والتخوت والشواهين يقبضون ويقبضون " . ويستشف من سياق النص أن للجهبذ مكاناً خاصاً به يتولى الإشراف عليه رئيس يعمل بين يديه عدد من الكتاب والجهابذة يعرضون عليه ما يقومون به من معاملات مالية .

ولحذاقة الجهابذة من أهل الذمّة دفعت الخلفاء إلى التعامل معهم ، فقد تعامل الخليفة المعتضد بالله مع جهابذة من اليهود

والمجوس واعتمد عليهم [112] ، وكان لهم نشاطهم الواضح في المؤسسات المالية إذ يقول ابن الفوطي [113] : " ومنهم الجهابذة وما يسرقون في القبض والتقبيض ومنهم الصيارفة ... " .

ومن هذا النص نجد أن أهل الذمّة من اليهود والنصارى قد عملوا بأعمال الصيرفة سواء كان ذلك في العراق أو بلاد الشام أو مصر ، فقد حصل تحول كبير في وضع اليهود فمن امتهانهم للمهن البسيطة إلى امتهانهم مهن الصيرفة ومنافستهم للنصارى حتى كادوا أن يبعدوهم عنها ويستفردوا بها في الشام ، كما اوضح ابن الفوطي عمل كل من الجهابذة والصيارفة ، فالجهابذة هم الذين يشتغلون بالتسليف واقراض الناس مقابل فائدة معينة [114] ، ولاشتراك الجهبذ والصراف في الإقراض والتسليف فإن المصادر والمراجع المتأخرة قالت بان الجهبذ القسطار هو الصيرفي الناقد [115] ، وهو الذي يتولى قبض الأموال وصرفها وهو مأخوذ من كلمة الصرف وهو صرف الذهب والفضة في الميزان ، وكان يقال له فيما تقدم جهبذ [116] ، لكن المصادر التاريخية التي عاصرت العصر العباسي فرقت بين الجهابذة والصيارفة كما ورد في الأمثلة السابقة .

ومن المعروف أن مدلول كلمة جهبذ لم يكن ثابتا في العصور الإسلامية الأولى ، بل تطور بتوسع واجبات الجهبذ ومهامه فقد كان الجهابذة في البدء كتابا ماليين يعملون في بيت المال يقومون بتدقيق نوعية النقود والأموال الواردة إلى بيت المال وعمل حسابات بما يرد إليه من مال ، وفي العصر العباسي توسع الجهبذ إلى الأعمال المصرفية فقد كانوا تجارا حققوا من التجارة أرباحا وافرة ثم وسعوا أعمالهم وصاروا يتعاملون بالائتمان من تسليف الأموال وقبول الودائع فصاروا أصحاب بيوت مالية كما استعان بهم رجال الدولة والأغنياء لحفظ أموالهم وإدارة ضياعهم [117] ، وكانت السفتجة من الأدوات المهمة للمعاملات المستندة إلى الائتمان وتعني بان يعطي الرجل مالا لأخر ، وللآخذ مال في بلد المعطي فيوفيه إياه ، أي إنها وجدت كوسيلة لتجنب الاخطار المتوقعة في الطرق وكانت غالبا ما تجري باتفاق فردي [118] ، فقد كانت القوافل تتعرض للسلب والنهب ففي سنة (193هـ / 808م) حملت الأموال من مصر إلى بغداد ولما صارت بفلسطين وثب أهل مدينة الرملة على المال فقالوا هذا عطاؤنا قد ساقه الله إلينا فاخذوا منه عطاءهم كاملا وادخلوا ما تبقى في بيت المال [119] ، أما أهم فائدة للسفتجة فهي استعمالها من قبل التجار لتصفية حساباتهم بين الأقطار المختلفة لكتابة السفاتج على وكلائهم [120] ، واستعملت السفتجة أيضا لتسوية الديون في المعاملات التجارية ، فهي تعني في علم الاقتصاد حوالة صادرة من دائن يكلف فيها مدينه دفع مبلغ معين في تاريخ معين لإذن شخص ثالث أو لإذن الدائن نفسه أو لإذن الحامل للحوالة [121] ، فكان لكل سفتجة تاريخ معين ، والسفتجة كلمة فارسية وتسمى بالعربية الرقعة [122] ، ثم استعملت السفتجة كاستعمال صكوك المسافرين في الوقت الحاضر ، إذ يروي التنوخي [123] على لسان دقاق بالبصرة : " أودع رجل غريب سفتجة بأجل فكان يتردد إليه إلى أن حلت ، ثم قال ادعها عندك وأخذها متفرقة ، فكان يجيء كل يوم ويأخذ بقدر نفقته إلى أن نفذ" .

أما الوسيلة الثانية من وسائل الائتمان هي التعامل بالصكوك ، والصك يعني الكتاب وهو أمر خطي بدفع مقدار من النقود إلى الشخص المسمى فيه وهي كلمة فارسية معربة الأصل " صك " ولا يزال أثرها حتى عصرنا هذا [124] ، وقال ناصر خسرو [125] يصف التعامل بالصك عندما تحدث عن المعاملات التجارية في سوق البصرة فقال : " والعمل في هذا السوق هكذا كل من معه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكا ، ثم يشتري كل ما يلزمه ويحول الثمن على الصراف فلا يستخدم المشتري شيئا غير صك الصراف طالما هو مقيم في المدينة " .

ومن المرجح إنه كان يُعمل بالصك في معظم أسواق أقاليم ومدن الدولة العباسية ، وإنه من بين مهام وكيل التجار إيداع الأموال لديه ويكون الدفع من خلاله ، وبذلك فقد استفاد الصيارفة والجهابذة من عملهم هذا ، إذ كانت المعاملات المصرفية نشطة في تلك المدة وخاصة إن الفقهاء حاولوا إيجاد وسائل مشروعة للخلاص من التعامل بمثل هذه المعاملات

. فقد كتب محمد بن الحسن الشيباني (ت : 189هـ / 904م) كتاب المخارج في الحيل [126] سمح فيه عمليا ببيع البضائع دون رؤيتها ، وأجاز التأخير في الدفع ونقل الديون وتخفيف الدين في حالة الدفع المعجل والدفع بأقساط . ونسج الخصّاف (ت : 261هـ / 874م) على منواله في كتابه الحيل والمخارج [127] بعد حوالي سبعين عاما سمح فيه التأخير في الدفع والبيع في الفائض ، إن طلب شخص من تاجر ألف دينار والتاجر يطلب ربحا عليه مئة دينار فكان يشتري التاجر منه دارا بألف دينار ويقبضها ويبيعها إليه بألف ومائة دينار فيكون قد حصل على ربح مائة دينار. كما إن فرق تنوع العملات المسكوكة في مختلف أنحاء البلاد وتقلب أسعارها اوجد حافزا قويا للمصارف ولكن تداول كميات كبيرة من المال على شكل عملات ذهبية وفضية في المقام الأول هو الذي شجع الناس إلى اللجوء إلى الصيارفة ، وكان زبائن هذه الصيرفات هم من الأغنياء فقد اشرفوا لهم على إدارة أموالهم وتلقوا الدفعات لحسابهم وكان وجود هؤلاء ضروريا جدا لكبار الموظفين الذين كانوا يدفعون الرشاوى إلى الصرافين لعدم تسجيل حسابات هذه المبالغ كما نشأت مؤسسات مصرفية في كل مدينة ونشأت شوارع الصيرفة في المدن الكبرى[128].

وخلاصة القول إن الجهابذة والصيارفة قاموا بدور مهم في التجارة في العصر العباسي إذ كانوا يشتغلون بالتسليف والإقراض كما كان الصيارفة يتوسطون بين الناس ودور الضرب ويقبلون الودائع بالإضافة إلى صرف النقود وقد شجعوا التجار بتسهيلهم الائتمان فكانت بيوتهم المالية بمثابة " البنوك " في هذا العصر [129] .

الخاتمة

من كل ما تقدم يمكننا أن نجمل أهم النتائج التي خرج بها هذا البحث ومنها :

1- بين البحث بأن لأهل الذمّة دوراً بارزاً في النشاط الاقتصادي باعتبارهم أحدى المكونات الاجتماعية في الدولة الإسلامية ، إذ تمتعوا بحقوق متساوية مع المسلمين في الوظائف العامة كاختيارهم للعمل المناسب للتكسب ، عن طريق مزاولتهم لشتى أنواع النشاط الاقتصادي وسائر العقود والمعاملات المالية ، ولم يستثن من ذلك إلا عقد الربا فإنه محرم عليهم كالمسلمين ، وهذا ما جرى عليه الحال في جميع الأمصار الإسلامية.
2- أوضح البحث أن اليهود لم يكن لديهم اهتمام واضح في إدارة شؤون الدولة ولم يتولوا مناصب هامة ، ولم يشاركوا في الجيوش والأنشطة الثقافية والعلمية ، لكنهم كانوا يسيطرون على جوانب هامة من الحياة الاقتصادية مثل تجارة الذهب والعبيد وبعض الصناعات والحرف والمهن كالصيرفة والجهبذة وغيرها .
3- برزت الإسهامات المالية الكبيرة التي برع فيها أهل الذمة في مجال المال والأعمال المصرفية ، واستطاعوا عن طريق ذلك أن يملكوا رؤوس الأموال الكبيرة ، فترتب جراء ذلك ظهور طبقة غنية منهم ساهمت في منح مساعدات مالية للدولة عند حاجتها للمال ، كما إنهم ساعدوا في تنشيط الصناعة نظرا لاحترافهم صناعات كثيرة وامتهانهم بها فنشطوا حركة الأسواق وساهموا في حيوية المدن وعمليات البيع والشراء .

التوصيات :

1- يوصي الباحث بدراسة تاريخ أهل الذمة من جميع الجوانب ، وخصوصا الجانب الاقتصادي لهم ، لما لهذه الشريحة من دور كبير في تنشيط كافة التعاملات الاقتصادية وغيرها ضمن حدود الدولة العربية الاسلامية .
2- يوصي الباحث الكتاب الغربيين غير المنصفين بإنصاف المسلمين وابراز تعاملهم الايجابي ، وخصوصا أنهم ولوهم مناصب رفيعة ضمن المؤسسة الادارية للدولة الاسلامية .
3- يوصي الباحث بأخذ الجوانب الايجابية من التعامل مع أهل الذمة ، الا ما كان خارجا عن حدود الدولة الاسلامية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين.

الهوامش

[1] – ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي (ت : 711هـ /1311م) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 1999م ، مادة : صرف ، م9 ، ص190 .

[2] – الدوري ، عبد العزيز ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2006م ، ص169 .

[3] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج11 ، ص91–92.

[4] – والصراف والصيرف والصيرفي هو النقاد من المصارفة وهو من التصرف والجمع صيارف وصيارفة ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج11 ، ص92 .

[5] – غنيمة ، يوسف رزق الله ، تجارة العراق قديما وحديثا ، مطبعة الفرات ، بغداد ، 1924م ، ص19، 21 .

[6] – ماسينيون ، المسيو لويس ، خطط الكوفة ، ترجمة : كامل سلمان الجبوري ، جمعية منتدى النشر ، النجف ، ط1 ، 1979م ، ص97 .

[7] – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص169 .

[8] – ماسنيون ، خطط الكوفة ، ص23 .

[9] – محلة ببغداد بجانب الكرخ . التنوخي ، المحسن بن علي (384هـ / 994م) نشوار المحاضرة ، عناية : عبود الشالجي ، بيروت ، دار صادر ، 1987م ج1، ص204.

[10] – ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت : 808 هـ / 1405م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : خليل شحاذه ، دار الفكر ، بيروت ، ط2 ، 1988م ، ج2 ، ص809 .

[11] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج11 ، ص91–92 .

[12] – ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن احمد القرشي (ت : 729هـ /1328م) معالم القربة في أحكام الحسبة ، دار الفنون ، كمبرج ، بلا . ت ، ص124.

[13] – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص192 .

[14] – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص194 .

[15] – ماسنيون ، خطط الكوفة ، ص24 ، 97 .

[16] –الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص165 .

[17] – مسكويه ، تجارب الأمم ، ج1 ، ص247 .

[18] – الصابي ، أبو الحسن الهلال بن محسن ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، حلب ، 1958م ، ص89–90 .

[19] – الصابي ، الوزراء ، ص92 .

[20] – المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت : 375هـ /985م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، 1960م ، ص183 .

[21] – الجومرد , جزيل عبد الجبار ، هارون الرشيد ، بيروت ، ط1 ، 1963م ، ج1 ، ص196 .

[22] – علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الساقي ، بيروت ، ط4 ، 2001م ، ج7 ، ص419.

[23] – الصابي ، الوزراء ، ص80 .

[24] – القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت : 646هـ / 1248م) :
أخبار العلماء بأخيار الحكماء ، تحقيق :إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2005م ، ص146.

[25] – ابن خلكان ، شمس الدين احمد (ت : 681هـ / 1282م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : محمد محي الدين ، القاهرة ، 1984م ، ج1 ، ص278 .

[26] – ناصر خسرو ، أبو معين الدين الحكيم المروزي (ت : 481هـ/ 1088م) سفر نامه ، تحقيق : يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط3 ، 1983م ، ص146.

[27] – الصابي ، الوزراء ، ص90-91.

[28] – الشيخلي ، صباح إبراهيم ، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها ، بغداد ، 1976م ، ص22.

[29] – ابن العبري ، أبو الفرج يوحنا بن هارون (ت : 685هـ /1286م) تاريخ مختصر الدول ، تحقيق : أنطون صالحاني اليسوعي ، دار الشرق ، بيروت ، ط 3 ، 1992م ص65.

[30] – ديمو بين ، مورس غودا ، النظم الإسلامية ، ترجمة : فيصل سامر وصالح الشماع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ط2 ، بلا . ت ص220.

[31] – ابن حجة الحموي ، تقي الدين بن علي (ت : 837هـ / 1433م) ثمرات الأوراق في المحاضرات ، القاهرة ، 1942م ، ج2 ، ص138.

[32] – التعزير : هو عقاب المخالف لأمور لم تشرع فيها الحدود ويترك العقاب فيها لولي الأمر والتعزير أنواع مثل التوبيخ والزجر بالكلام والحبس والنفي عن الوطن والضرب . الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب (ت : 450 هـ / 1058م) الأحكام السلطانية ، دار الحديث ، القاهرة ، بلا . ت ، ص237.

[33] – الشيرزي ، عبد الرحمن بن نصر (ت : 590هـ / 1193م) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، ص74.

[34] – أبن الإخوة ، معالم القربة ، ص70.

[35] – ديمو بين ، النظم الإسلامية ، ص219.

[36] – المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت : 375هـ /985م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، 1960م ، ص183 .

[37] – الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت : 255هـ / 868م) رسائل الجاحظ ، بيروت ، دار النهضة الحديثة ، 1972م ، ج3 ، ص316 .

[38] – ديمو بين ، النظم الإسلامية ، ص219 .

[39] – ابن الإخوة ، معالم القربة ، ص68 ؛ ابن الداية ، أحمد بن يوسف الكاتب (ت : 340هـ / 951م) المكافأة وحسن العقبى ، مؤسسة ناصر للثقافة دار الوحدة ، مصر ، 1975م ، ص43 .

[40] – التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج2 ، ص193 .

[41] – الصابي ، تاريخ الوزراء ، ص93 .

[42] – الزيات ، حبيب ، الصيارفة في الإسلام ، مجلة المشرق ، يصدرها آباء جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : 4 ، 1937م ، ص492 ؛ وينظر أيضا : العبادي ، عبد الحميد ، وآخرون ، الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، بلا.ت ، ص35 .

[43] – الجاحظ ، رسائل للجاحظ ، ص17 .

[44] – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص183 ؛ المدور ، جميل نخلة ، حضارة الإسلام في وادي السلام ، المطبعة الأميرية ببولاق ، 1935م ، ص109.

[45] – الزيات ، الصيارفة في الإسلام ، ص492 .

[46] – ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص146 .

[47] – التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج2 ، ص193 ؛ البستاني ، فؤاد افرام ، تمازج العناصر البشرية في بغداد العباسيين ، مجلة المشرق ، 1934م ، ص449 .

[48] – الزبيدي ، محمد مرتضى (ت : 1205هـ /1790م) تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الحياة ، الكويت ، 1970م ، ج2 ، ص558 .

[49] – التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج8 ، ص35 .

[50] – كان وزيرا في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله ، ولكن هذا الوزير قتل في سنة 312هـ /827م ، ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت : 630هـ/1232م) الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1997م ، ج8 ، ص149 .

[51] – الصابي ، تاريخ الوزراء ، ص93 ، 177 ؛ غنيمة ، نزهة المشتاق ، ص135 ؛ الدوري ، عبد العزيز ، الجهبذة والصيرفة في العراق في القرن الرابع الهجري ، مجلة القضاء العراقية ، العدد الخامس ، 1943م ، ص584 ؛ محمود ، حسن احمد ، والشريف ، أحمد إبراهيم ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بلا . ت ، ص207 .

[52] – مجهول ، (مؤلف من القرن الحادي عشر الهجري) تاريخ الخلفاء ، نشر النسخة المصورة للمخطوطة الوحيدة بطرس فرياز ينويج ، ضمن سلسلة آثار الآداب الشرقية رقم (11) دار العلوم ، موسكو ، 1967م ، ص362 .

[53] – التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج1 ، ص323 ؛ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص167 .

[54] – الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت : 626 هـ /1228م) : معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تصحيح واعتناء : مرجيلوت ، مطبعة هندي بالموسكي ، ط2 ، 1923م ، ج1 ، ص385 ؛ الدوري ، الجهبذة والصيرفة في العراق ، ص583 .

[55] – مسكويه ، تجارب الأمم ، ج2 ، ص188 .

[56] – سفرنامة ، ص146 .

[57] – الدوري ، عبد العزيز مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2007م ، ص70 .

[58] – الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج1 ، ص224 .

[59] – ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس بن جريح ، (ت: 284هـ / 897م) ديوان ابن الرومي ، تحقيق : حسين نصار ، مطبعة دار الكتب ، مصر ، 1976م ، ج3 ، ص1159 ؛ الخوارزمي ، جمال الدين ، أبو بكر ، مفيد العلوم ومبيد الهموم ، المطبعة العلمية ، القاهرة ، ط1 ، 1892م ، ص123 ؛ المبرد ، أبي العباس محمد بن يزيد (ت: 285هـ / 898م) الكامل ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، بلا . ت ، ج1 ، ص356.

[60] – ابن حبيب ، أبي جعفر محمد البغدادي (ت: 245هـ / 859م) المحبر ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تحقيق : ليلزة لتمن شنيتر ، منشورات دار الآفاق ، بيروت ، بلا . ت ، ص146 .

[61] – الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص228 .

[62] – مسكويه ، تجارب الأمم ، ج1 ، ص247 ، ج2 ، ص188 ؛ التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج2 ، ص192 ، ج3 ، ص90 ؛ الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص90 .

[63] – وهي محلة في الكرخ ببغداد كان فيها كبار التجار وأصحاب الأموال ، انظر : الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت : 626 هـ / 1228م) معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ط2 ، 1995م ، ج2 ، ص448

[64] – البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت : 279هـ/892م) فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1988م ، ص284 .

[65] – الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص91 .

[66] – الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت : 463هـ /1070م) تاريخ بغداد ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2002م ، ج1 ، ص18 .

[67] – الصابي ، تاريخ الوزراء ، ص89 .

[68] – الصبحي ، محمد إبراهيم ، التجارة والاقتصاد عند العرب ، مكتبة الوعي العربي ، القاهرة ، 1969م ، ص43 .

[69] – الصابي ، تاريخ الوزراء ، ص257 ؛ أبو شجاع ، الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب ظهير الدين الروذراوري (ت : 488هـ /1095م) ذيل كتاب تجارب الأمم ، مطبعة شركة التمدن ، مصر ، 1916م ، ج3 ، ص46 ؛ مجهول ، (مؤلف من ق6هـ/ 13م) العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم ، نشر ديه غويه ، مطبعة بريل – ليدن ، 1871م ، اوفسيت مكتبة المثنى ، بغداد ، بلا.ت ، ج3 ، ص20 .

[70] – مسكويه ، تجارب الأمم ، ج2 ، ص80 ؛ ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص146 .

[71] – مسكويه ، تجارب الأمم ، ج2 ، ص80 .

[72] – الجهشياري، الوزراء والكتاب ، ص67.

[73] – المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت : 845هـ / 1441م) النقود الإسلامية ، تحقيق : محمد السيد ، النجف ، ط5 ،1967م ، ص11.

[74] – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص165 .

[75] – جاك ، ريسلر ، الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966م ، ص139 .

[76] –الصابي ، الوزراء ، ص90 .

[77] – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص158.

[78] – ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت: 874هـ/1469م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب ، مصر ، بلا . ت ، ج3 ، ص165 .

[79] –رسائل الجاحظ ، ج3 ، ص239 .

[80] –التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج1 ، ص31 .

[81] – متز ، آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري " أو عصر النهضة في الإسلام " ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بلا . ت ، ج2 ، ص796 .

[82] – مسكويه ، تجارب الأمم ، ج1 ، ص44 .

[83] – متز ، الحضارة الإسلامية ، ج2 ، ص802 .

[84] – رسائل الجاحظ ، ج3 ، ص240.

[85] – ابن العبري ، أبو الفرج يوحنا بن هارون (ت : 685هـ /1286م) تاريخ مختصر الدول ، تحقيق : أنطون صالحاني اليسوعي ، دار الشرق ، بيروت ، ط 3 ، 1992م ، ص199.

[86] – نشوار المحاضرة ، ج8 ، ص57 .

[87] – الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت : 356هـ / 966م) الأغاني ، تحقيق : سمير جابر ، دار الفكر ، بيروت ، ط 2 ، بلا . ت ج3 ، ص85 .

[88] – ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص194 .

[89] – ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة : الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بلا . ت ، ج14 ، 62 .

[90] – الأغاني ، ج2 ، ص154 .

[91] – ماجد ، عبد المنعم تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، دار الفكر ، 2010م ، ص44 .

[92] – الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ص17 .

[93] – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص273 .

[94] – أبو عبيد ، القاسم بن سلام بن عبد الله (ت : 224هـ / 838م) الأموال ، تصحيح : محمد حامد ، القاهرة ، 1934م ، ص78 .

[95] – العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ، ص279 .

[96] – جلوب ، جون باجوت ، إمبراطورية العرب ، دار الكتاب العربي ، 1966م ، ص613 .

[97] – العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ، ص290 ؛ ماجد ، الحضارة الإسلامية ، ص44 .

[98] –عادل ، حامد الجادر وآخرون ، يهود الأقطار العربية ، مركز الدراسات الفلسطينية ، ندوة يوم 13-14 / 1987م ، بغداد ، 1990م ، ص25 .

[99] – متز ، الحضارة الإسلامية ، ج2 ، ص378 .

[100] – الصابي ، الوزراء ، ص178 .

[101] – الحضارة الإسلامية ، ج2 ، ص378 . بلط : البلطة المفلس وابلط الرجل الذي ذهب ماله . الزبيدي ، تاج العروس ، مادة بلط ، م3 ، ص324 .

[102] – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص183 .

[103]– الزبيدي ، تاج العروس ، مادة : جهبذ ، م2 ، ص558 . وهو معرب كهبذ . أدي ، شير ، الألفاظ الفارسية المعربة ، بيروت ، 1908م ، ص46.

[104]– الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص184-185 .

[105] – ابن رستة ، أبو علي احمد بن عمر (ت : نحو 300هـ / 912م) الاعلاق النفيسة ، دار صادر ، 1990م ، ص196 ؛ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص184–185 .

[106] – ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص207 .

[107] – الصابي ، الوزراء ، ص178 .

[108] – التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج2، ص16.

[109] – الزابات : قرى على زاب الموصل . الحموي ، معجم البلدان ، م2 ، ص902.

[110] – الصابي ، الوزراء ، ص277.

[111] – نشوار المحاضرة ، ج2 ، ص193 ، ج2 ، ص246.

[112] – الزيات ، الصيارفة في الإسلام ، ص492.

[113] – ابن الفوطي ، كمال أبو الفضل عبد الرزاق (ت : ق9هـ / 13م) الحوادث الجامعة والتجارب الناصعة في المائة السابعة ، بيروت ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ، 1987م ، ص38 .

[114] –الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص191 .

[115] –ابن منظور ، لسان العرب ، ج5 ، ص93 .

[116] – القلقشندي ، أحمد بن علي بن أبي العباس (ت : 121هـ / 738م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلا . ت ، ج5 ، ص438 ؛ الزيات ، الصيارفة في الإسلام ، ص491 .

[117] – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص191 ؛ كاتبي ، غيداء خزنة ، الجهبذة في العراق وتطورها خلال القرن الرابع الهجري ، مجلة دراسات ، مج26 ، العدد الثاني ، 1999م ، ص352 .

[118] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، ص298 ؛ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص195 .

[119] – الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت : بعد 355هـ/ 965م) الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، وأحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م ، ص146 .

[120] – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص196 .

[121] – الفيروزآبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد (ت : 817هـ / 1414م) القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط8 ، 2005 م، ج1 ، ص432 .

[122] – التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج8 ، ص115 .

[123] – نشوار المحاضرة ، ج8 ، ص222 .

[124] – ابن منظور ، لسان العر ب ، ج10 ، ص457 .

[125] – سفر نامة ، ص146 .

[126] – احمد بن عمر ، المخارج في الحيل ، نشره وصححه : يوسف شخت ، ليبزج ، 1930م ، ص77 .

[127] – الخصّاف ، عمر أبي بكر الشيباني (ت : 261هـ / 874م) الحيل والمخارج نشره وصححه : يوسف شخت ، هنوفر ، 1923م ، ص19 ، 43 .

[128] – اشتور ، الياهو ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الهادي عيلة ، مراجعة احمد سبانو ، دمشق ، دار قتيبة للطباعة والنشر ، 1985م ، ص134 .

[129] – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص195

المصادر

1. alqilqshundiu , 'ahmad bin eali bin 'abi aleabbas (t: 121 h / 738 m (sbh al'aeshaa fi sinaeat al'iinsha , dar alkutub aleilmiat , bayrut , bla. t , j 5 , s 438 ; alziyat , alsayarifat fi al'islam , s 491.
2. aldawriu , tarikh aleiraq alaiqtisadii , s 191 ; katby , ghida' khaznat , aljahbinat fi aleiraq watatawuruha khilal alqarn alrrabie alhajarii , majalat dirasat , maj 26 , aleadad alththani , 1999 m , s 352.
3. abn manzur , lisan alearab , j 2 , s 298 ; aldawrii , tarikh aleiraq alaiqtisadii , s 195.
4. alkanadiu , 'abu eumar muhamad bin yusif bin yaequb (t: baed 355 h / 965 m) alwalat wakitab alqudat , tahqiq: muhamad hasan muhamad hasan 'iismaeil , wa'ahmad farid almazidi , dar alkutub aleilmiat , bayrut , 2003 m , s 146.
5. aldawriu , tarikh aleiraq alaiqtisadii , s 196.
6. alfiruzuabadi , majad aldiyn 'abu tahir muhamad (t: 817 h / 1414 m). , aldlyl: maktab tahqiq alturath fi muasasat alrisalat , bi'iishraf: muhamad naeim alerqsusy , muasasat alrisalat liltabaeat walnashr waltawzie , bayrut , t 8 , 2005 m , j 1 , s 432.
7. altanukhi , nashwar almuhadarat , j 8 , s 115.
8. nashwar almuhadarat , j 8 , s 222.
9. abn manzur , lisan aleur b , j 10 , s 457.
10. safar namat , s 146.
11. 'ahmad bin eumar , almukhrij fi alhil , nashurah wasahahuh: yusif shakht , liabzuj , 1930 m , s 77.
12. alkhssaf , eumar 'abi bikr alshiybani (t: 261 h / 874 m) alhil walmakharij nashrah wasahahuh: yusif shakht , hnufir , 1923 m , s 19 , 43.
13. aishtawr , alyahu , alttarikh alaiqtisadiu lilsharq al'awsat fi aleusur alwustaa , trjmt: eabd alhadi eaylatan , murajaeatan 'ahmad sbanu , dimashq , dar qatibatan liltabaeat walnashr , 1985 m , s 134.
14. aldawriu , tarikh aleiraq alaiqtisadii , s 195